@Antelias. Diocese
anteliasdiocese.com

عنوان الأحد الأحد الرابع من زمن العنصرة

الأخت راغدة عبيد (ر.ل.م.)

(سفر الحكمة: ٧ / ٧ - ١٤)
٧ لِذلِكَ صَلَّيتُ فأوتيتُ الفِطنَة ودَعَوتُ فأَتاني روحُ الحِكمَة.
٨ ففَضَّلتُها على الصَّوالِجَةِ والعُروش وعَدَدتُ الغِنى كَلا شَيءٍ بِالقِياسِ إليها.
٩ ولم أعادِلْ بها الحَجَرَ الّذي لا يُقَدَّر لأَنَّ كُلَّ الذَّهَبِ بِإزائِها قليلٌ مِنَ الرَّمْل والفِضَّةَ عِندَها تُحسَبُ طينًا.
١٠ وأَحبَبْتُها فوق العافِيةِ والجَمال وآثَرْتُ أن أَتَّخِذَها قبل النّور لأَن رَونَقَها لا يَقِرُّ لَه قرار.
١١ فأَتَتني معَها جَميعُ الخَيرات وعن يَدَيها غِنىً لا يُحْصى.
١٢ فسُرِرتُ بِهذه الخَيرات كُلِّها لأَنَّها بِإمرَةِ الحِكمة ولم أكُن عالِمًا بِأَنَّها أُمٌّ لَها جَميعًا.
١٣ وما تَعَلَّمتُه بِإخلاصٍ أُشرِكُ فيه بِسَخاء ولا أَكتُمُ غِناها.
١٤ فإِنَّها كَنزٌ لِلنَّاسِ لا يَنفَد والَّذينَ اقتَنَوه كَسِبوا صداقَةَ اللّه وقد أوصَته بِهم المَواهِبُ الصَّادِرَةُ عنِ التَّأديب.

مقدّمة

أَليَومَ، رَبُّنا يَسوعُ يَبتَهِجُ بِالرُّوحِ وَيَشكُرُ اللّهَ الآبَ على الحِكمَةِ الّتي وَهَبَها لِلأَطفالِ وَقد خُفِيَتْ عَن مَعرِفَةِ الحُكَماء. وَبولُسُ الرَّسول، في رِسالَتِهِ الأُولى إلى أهلِ قورِنتُس، يُعلِّمُنا أَنَّنا بِروحِ الرّب نَسْبُرُ سِرَّ اللّه، أَي بِموهِبَةِ الحِكمَةِ التي هي عطيَّةُ الرُّوح نَعرِفُ الرَّب. لِذا، تختارُ كنيسَتُنا المارونِيَّةُ قِراءَةَ العَهدِ القَديمِ من سِفرِ الحِكمَةِ وَهي مَديحٌ للحِكمَةِ، التي تُنالُ بالصَّلاةِ وَالرَّغبَةِ بِالتّأديب.

٧ لِذلِكَ صَلَّيتُ فأوتيتُ الفِطنَة ودَعَوتُ فأَتاني روحُ الحِكمَة.
هَذا النَّصُ الشِّعريُّ عنِ الحِكمةِ يَستَنِدُ إلى حَدثِ حُلمِ سُليمانَ الملكِ في جبعون في (١مل ٣ / ٦ - ١٢) حينَ طَلَبَ نعمةَ التَّمييزِ منَ الرَّبِّ لِيَحكُمَ الشَّعبَ بِفطنةٍ وَعدل. وَقد نالَ مَطلَبَهُ في وَقتِ صلاتِهِ، إِذ ذهبَ إِلى جِبعونَ وَأَصعدَ أَلفَ مُحرقةٍ على المذبح. حينئِذٍ، تراءَى لهُ الرَّبُّ في الحُلمِ ليلاً وَقال لهُ: "أُطلُب ما تُريدُ أن أُعطيكَ". فجاوَبهُ: "هَبْ عبدَكَ قلبًا فهيمًا لِيَحكُمَ شعبَكَ وَيُميِّزَ بينَ الخيرِ وَالشَّر" (١مل ٣ / ٩). فَحَسُنَ طَلَبُ المَلِكِ سُليمانَ في عَينِ الرَّب ووَهبَهُ روحَ الحِكمَةِ، وميَّزَهُ عنِ جَميعِ النّاسِ والملوك. فَلم يَكُنْ أَحدٌ مِثلَهُ لا قبلَهُ ولا

بَعدَهُ.

٨ ففَضَّلتُها على الصَّوالِجَةِ والعُروش وعَدَدتُ الغِنى كَلا شَيءٍ بِالقِياسِ إليها.
٩ ولم أعادِلْ بها الحَجَرَ الّذي لا يُقَدَّر لأَنَّ كُلَّ الذَّهَبِ بِإزائِها قليلٌ مِنَ الرَّمْل والفِضَّةَ عِندَها تُحْسَبُ طينًا.
صَحيحٌ أَنَّ سُليمانَ لم يَطلُبْ منَ الرَّبِ لا الغِنى، ولا السُّلطةَ ولا الانتِقامَ ولا أيَّ شَيءٍ آخَرَ منَ الجَاهِ وَمظاهِرِ العَظمَة، بَل اختارَ الأَفضَل أَي الحِكمة (١ مل ٣ / ١١). فلا شَيءَ يُساوِي الحِكمَةَ، وَهوَ وَضعها في أَفضليَّةِ اختياراتِه وأَولويَّةً على احتياجاتِه. وَيَقولُ سُليمانُ في شَأنِ العُروش، نَاصِحًا المُلوك: "فَإِنْ طَابَتْ لَكُم العُروشُ وَالصَّوالِجَةُ، يا مُلوكَ الشُّعوبِ، فَأَكْرِمُوا الحِكمَةَ لِكَي تَمْلِكُوا لِلأَبَد" (حك ٦ / ٢١).
كما أَنَّهُ بالرَّغمِ من تَدفُّقِ الذَّهبِ وَالأَحجارِ الكَريمَةِ عَليهِ، لَم يُفضِّل سُليمانُ أَيًّا منها على الحِكمَة. فمَلكَةُ سَبأَ جاءَت إلى المِلكِ سُليمانَ وَأَهدَتهُ ذهبًا وَأطيابًا وَحجارَةً كريمةً (راجع ١ مل ١٠ / ١ - ١٣)، بالإضافَةِ إلى رِبحِهِ في التِّجارَةِ الّذي دَفَّقَ عليهِ الذَّهبَ الكَثيرَ، حتّى إِنَّهُ "لَم تكُنِ الفِضَّةُ تُحسَبُ شيئًا في أَيّامِ سُليمان" (راجع ١مل ١٠ / ٢١ - ٢٢). "وَكانتِ الأَرضُ كُلُّها تَلتَمِسُ مُواجَهةَ سُليمانَ، لِتَسمَعَ حِكمتَهُ الّتي أَودَعها اللّهُ في قلبِهِ" (١مل ١٠ / ٢٤).

١٠ وأَحبَبْتُها فوق العافِيةِ والجَمال وآثَرْتُ أن أَتَّخِذَها قبل النّور لأَن رونَقَها لا يَقِرُّ لَه قرار.
سُليمانُ عَرفَ سِرَّ الحِكمَةِ، أَنَّها تَقودُ إلى المَلَكوتِ وَإلى الخُلود، فَأَحبَّها كَعروسَتِهِ: "هيَ الّتي أَحْبَبْتُها وَالْتَمَستُها مُنذُ حَداثَتي، وَسَعَيتُ أَن أَتَّخِذَها لي عَروسًا، وَصِرتُ لِجَمالِها عَاشِقًا" (حك ٨ / ٢). كَما عَرَفَ أَنَّ الحِكمَةَ هيَ إِنعِكَاسٌ لِلنُّورِ الأَزَلِيِّ، وَأَنَّها نِعمَةٌ تُلْتَمَسُ منَ الرَّب (راجع حك ٧ / ٢٦؛ ٨ / ١٧ - ٢١). إِنَّها أَسطَعُ مِنَ النُّور "وَإِذا قيسَتْ بِالنُّورِ ظَهرَ تَفَوُّقها. لِأَنَّ النُّورَ يَعْقُبُهُ اللَّيل، أَمَّا الحِكمَةُ فلا يَغْلِبُها الشَّر" (راجع حك ٧ / ٢٩ - ٣٠).

١١ فأَتَتني معَها جَميعُ الخَيرات وعن يَدَيها غِنىً لا يُحْصى.
١٢ فسُرِرتُ بِهذه الخَيرات كُلِّها لأَنَّها بِإمرَةِ الحِكمة ولم أكُن عالِمًا بِأَنَّها أُمٌّ لَها جَميعًا.
يَعْتَرِفُ سُليمانُ بِالغِنى العَظيمِ الّذي اكْتَسَبَهُ معَ الحِكمَة، فَفاقَ بِها حُكماءَ المَشرِقِ وَمِصرَ (راجع حك ٥ / ٩ - ١٤). كَمَا فَاقت مَعْرِفتُهُ الأَيّامَ الحاضِرَةَ وَالأَشياءَ المَنظورَةَ "عَرَفتُ كُلَّ ما خَفِيَ وَكُلَّ ما ظَهَرَ، لِأَنَّ مُهَندِسَةَ كُلِّ شَيءٍ عَلَّمَتني، وَهيَ الحِكمَة" (حك ٧ / ٢١). معَ الحِكمَةِ، سُليمانُ تكَلَّمَ بِكُلِّ عِلمٍ منَ العُلومِ على اخْتِلافِها (راجع حك ٧ / ١٧ - ٢١).
أَمَّا أَنَّ الحِكمَةَ هيَ أُمٌّ لِجميعِ الخَيرات، فتَقولُ هيَ بِنَفسِها: "مَعي الغِنَى وَالمَجد وَالأَموالُ

الثَّابِتَة وَالبِرّ. ثَمري خَيرٌ منَ الذَّهَبِ وَالإِبْريز. وَغلَّتي أَفضَلُ منَ الفِضَّةِ الخَالِصَة" (مثل ٨ / ١٨ - ١٩).

١٣ وما تَعَلَّمتُه بِإخلاصٍ أُشرِكُ فيه بِسَخاء ولا أَكتُمُ غِناها.
١٤ فإنَّها كَنزٌ لِلنَّاسِ لا يَنفَد والَّذينَ ٱقتَنَوه كَسِبوا صداقةَ اللّٰه وقد أوصَته بِهم المَواهِبُ الصَّادِرَةُ عنِ التَّأديب.

ما كَسِبَهُ المِلكُ سُليمانُ منَ الحِكمَةِ، شَارَكَ بِهِ الأَجيالَ الكَثيرةَ حتَّى يومِنا هذا. فهو الّذي "قالَ ثلاثةَ آلافِ مثَل. وَكانَت أَناشيدُهُ أَلفًا وَخمسَةَ أَناشيد" (راجع ١مل ٥ / ١٢ - ١٣). كما أَنَّ بعضَ مقاطعِ سفرِ الحِكمَةِ وَسفرِ الأَمثال، سِفرُ الجامِعَة وَسفرُ نَشيدِ الأَناشيد تُنسَب إليه. فَسِفرُ الأَمثالِ يُفتَتَحُ بهذهِ الكَلمات: "أَمثالُ سُليمانَ بْنِ دَاوُدَ، مَلِكِ إِسرائيل" (مثل ١ / ١). وَلَم يَكْتُم سُلَيمانُ على الأَسرارِ الّتي تعلَّمَها منَ الحِكمَةِ، كَما يَقولُ: "وَأَنا أُخبِرُكُم ما الحِكمَةُ وَكيفَ نَشَأَت، وَلا أَكْتُمُ عَنكُمُ الأَسْرَار. فَتأَدَّبوا بِأَقوالي تَسْتَفيدُوا مِنها" (حك ٦ / ٢٢. ٢٤). أَمَّا بِدايَةُ طَلَبِ الحِكمَةِ، فَهوَ القَبولُ بِالتَّأديب وَالرَّغبَةُ بِهِ كَعلامَةِ محبَّةٍ لِلّٰهِ الخَالِقِ وَوَاهِبِ الحِكمَةِ لِلجَميع: "فَأَوَّلُها الرَّغْبَةُ الصَّادِقةُ في التَّأديب، وَالاهْتِمَامُ بِالتَّأديبِ هوَ المحبَّةُ" (حك ٦ / ١٧). "تَمسَّك بِالتَّأديبِ، لا تُطلِقهُ، إِحْفَظهُ فَإِنَّهُ حياةٌ لَك" (مثل ٤ / ١٣).

خلاصة روحيّة

إِنَّ هذه القِراءةَ تَدعونا لِلتَّعمُّقِ في اخْتِبارِ المِلكِ سُليمانَ في طَلَبِهِ لِلحِكمَة. لأَنَّ فيها رِيحُ المُلكوت وَنِعمةُ القَداسَة وَصَداقةُ اللّٰه. هيَ تَرُدُّ النُّفوسَ إِلى جمالِها الأَوَّل شَفَّافَةً، طاهِرةً كَنفوسِ الأَطفال، اللّذين امتَدَحَهُمُ الرَّبُّ يسوع كَحُكماءَ، عالِمينَ بسرِّ اللّٰه أَكثر من حُكماءِ هذا الدَّهر.

كَمَا تَدعونا إِلى طَلَبِ الحِكمةِ كَنعمَةٍ منَ الرَّبّ، خاصَّةً لِمسؤُولينَا الرُّوحِيِّينَ وَالمدَنيِّينَ، لِكي يَحكُموا في كُلِّ القَضايا الرّوحيَّة وَالأَرضيَّة بِحِكمَةٍ وَفِطْنَةٍ. وَلْيَطلُبها كُلٌّ منّا لِنَفسِهِ، لكي نَعرِفَ أَن نَعيشَ بِفرحٍ وَسُرورٍ في وَسطِ الأَزماتِ التي يَمرُّ فيها وَطَننا وَعالَمَنا.